أسباب الإنحراف الفكري ومظاهره وسبل معالجته في ضوء القرآن الكريم دراسة فكرية ـ تأصيلية

Causes, manifestations, and methods of addressing intellectual deviation in light of the Holy Quran
An intellectual and foundational study

م.د أحمد اسماعيل فتحي

M.D. Ahmed Ismail Fathy

وزارة التربية –المديرية العامة لتربية صلاح الدين

General Directorate of Education of Salah Al-Din

Ala147ahmar@gmail.com

الكلمات المفتاحية : الفكر، الانحراف، المنهج، القراني، السلوك

Keywords: Thought, Deviation, Methodology, Quranic, Behavior

الملخص

يتناول هذا البحث مشـكلة الانحراف الفكري في ضـوء القرآن الكريم، بوصـفها من أخطر القضـايا التي تهدد اسـتقرار الفرد والمجتمع، لما يترتب عليها من اضـطراب في العقيدة والسـلوك والأمن الفكري، وقد بيّن البحث مفهوم الانحراف الفكري وأبرزَ مظاهره كما عرضـها القرآن الكريم، مثل: الانحراف العقدي، والغلو، واتباع الأهواء، والتشـكيك بالثوابت، والانحراف السلوكي والأخلاقي وبيَّن أهم أسباب الانحراف الفكري، وأنَّها لا تنشأ من عامل واحد؛ بل من تداخل أسـباب نفسـية وقلبية كاتباع الهوى والكبر والطغيان، وأسـباب فكرية وعقدية كتقديم العقل على الوحي واتباع المتشـابه والغلو، إضـافة إلى أسباب اجتماعية وسلوكية كالتقليد الأعمى، والصحبة الفاسدة، والإشاعات المضللة، والاغترار بالمال والسلطة ولم يعرض أسباب الانحراف فقط؛ بل ركَّز على المنهج القرآني في معالجتها، من خلال ترسـيخ العقيدة الصـحيحة، وتعظيم الوحي، وتزكية النفس، وضبط منهج التفكير، والدعوة إلى التثبت والرجوع إلى أهل العلم، فضـلًا عن بناء البيئة الصـالحة وتعزيز قيم الوسـطية والاعتدال، وخلصـت الدراسـة إلى أنَّ القرآن الكريم قدّم منهجًا متكاملًا في الوقاية من الانحراف الفكري وعلاجه، يجمع بين بناء الإيمان، وتصحيح الفكر، وإصلاح السلوك والمجتمع.

Abstract

This research addresses the issue of intellectual deviation in light of the Holy Quran, as it is one of the most serious issues that threaten the stability of the individual and society, due to the resulting disturbance in belief, behavior, and intellectual security. The research clarifies the concept of intellectual deviation and highlights its manifestations as presented in the Holy Quran, questioning established principles, and behavioral and moral deviation. It also clarifies the most important causes of intellectual deviation, and that it does not arise from a single factor, but rather from the interplay of psychological and emotional causes such as following desires, arrogance, and tyranny, and intellectual and doctrinal causes such as prioritizing reason over revelation, following ambiguous texts, and extremism, in addition to social and behavioral causes such as blind imitation, corrupt companionship, misleading rumors, and being deceived by wealth and power. It does not only present the causes of deviation; Rather, it focused on the Quranic approach to addressing this issue, through establishing sound doctrine, venerating divine revelation, purifying the soul, regulating thought processes, and calling for verification and consultation with scholars. This is in addition to building a wholesome environment and promoting the values of moderation and balance. The study concluded that the Holy Quran presents a comprehensive methodology for preventing and treating intellectual deviation, combining the building of faith, the correction of thought, and the reform of behavior and society.

أهمية الموضوع

تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

1. إبراز عناية القرآن الكريم والسـنة النبوية بحماية الفكر والعقل، وتأصـيل مفهوم الأمن الفكري في ضوء النصوص الشرعية.

2. بيان خطورة الانحراف الفكري وآثاره السـلبية على الفرد والمجتمع، وما يترتب عليه من تهديد للأمن والاستقرار.

3. الكشف عن أسباب الانحراف الفكري وجذوره النفسية والفكرية والاجتماعية، مع تحليل العوامل المؤدية إليه.

4. بيان المنهج القرآني في الوقاية من الانحراف الفكري وعلاجه، والإسـهام في تعزيز الوسـطية والاعتدال وبناء الوعي الفكري لدى الشـباب وفق الأصـول الشـرعية والمقاصد القرآنية.

سبب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لجملة من الأسباب أبرزها:

1. انتشار مظاهر الانحراف الفكري في المجتمعات المعاصرة وما يترتب عليها من غلوٍ وتطرفٍ واضطرابات فكرية وسلوكية تؤثر في أمن المجتمع واستقراره.

2. الحاجة إلى إبراز المنهج القرآني في معالجة الانحراف الفكري، بوصفه المصدر الأساس لبناء الفكر السليم وتقويم العقيدة والسلوك.

3. بيان شـمولية القرآن الكريم في معالجة القضـايا الفكرية والنفسـية والاجتماعية، وترسيخه لمنهج الوسطية والاعتدال والتحذير من الغلو والتقليد الأعمى.

4. أهمية الموضـوع في ظل الانفتاح الإعلامي والفكري المعاصـر، وكثرة الشـبهات والتيارات المنحرفة التي تستهدف عقول الشباب وأفكارهم.

مشكلة البحث

تتمثل مشـكلة البحث في تنامي صـور الانحراف الفكري في المجتمعات الإسـلامية المعاصـرة، وما يترتب عليها من آثار عقدية وفكرية وسـلوكية وأمنية خطيرة، مع ضـعف الوعي بـالمنهج القرآني في الوقـاية من هذه الانحرافات ومعـالجتهـا، ولـذلك فقد حـاولنـا الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما مفهوم الانحراف الفكري لغةً واصطلاحًا؟
2. ما أبرز مظاهر الانحراف الفكري في ضوء القرآن الكريم؟
3. ما الأسباب النفسية والفكرية والاجتماعية المؤدية إلى الانحراف الفكري؟

4. ما منهج القرآن الكريم في معالجة الانحراف الفكري؟
5. كيف يمكن تحقيق الأمن الفكري وحماية المجتمع من الانحراف الفكري في ضوءالقرآن الكريم ؟

منهج البحث:

لم يكن البحث معتمداً على طريقة منهجية واحدة؛ بل تنوعت مناهجه نظراً لتشـــعب موضوعاته، فجاء على النحو الآتي:

1. المنهج الاســـتقرائي: وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالانحراف الفكري وأسبابه ووسائل معالجته.
2. المنهج التحليلي: بتحليل النصوص القرآنية وبيان دلالاتها الفكرية والتربوية.
3. المنهج الوصفي: في عرض مظاهر الانحراف الفكري وأسبابه وآثاره.
4. المنهج الاستنباطي: لاستخراج القواعد والوسائل القرآنية في معالجة الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الفكري.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأمور أهمُّها:

1. بيان مفهوم الانحراف الفكري، والكشـــف عن أبرز مظاهره كما عرضـــها القرآن الكريم.
2. توضـــيح الأســـباب والعوامل المؤدية إلى الانحراف الفكري وآثاره على الفرد والمجتمع.
3. إبراز منهج القرآن الكريم في معالجة الانحراف الفكري والوقاية منه، من خلال ترسيخ العقيدة الصحيحة وتنمية الوعي والبصيرة.
4. بيان أثر ســـلامة الفكر في تحقيق الأمن المجتمعي، وترســـيخ قيم الوســـطية والاعتدال المستمدة من القرآن الكريم.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة وثلاثة مباحث فالمبحث الأول مخصـــص للتعريف بالموضوع لغة واصطلاحًا، والمباحث الأخرى تناولت عرض الموضوع بأسبابه ومظاهر وسبل معالجة في ضوء القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله الذي ربِّ العالمين، الذي أنزل القرآن الكريم هدايةً للناس، وجعله نورًا يهدي إلى الحق ويصون العقول من الضلال والانحراف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أقام منهج الاعتدال، وحذّر من الغلو والزيغ واتباع الأهواء، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ الانحراف الفكري من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات؛ لما يترتب عليه من اضطراب في العقيدة والسلوك، وتهديد للأمن الفكري والاجتماعي، إذ يبدأ الانحراف بفكرةٍ منحرفة ثم يتحول إلى سلوك وموقف يؤثر في الفرد والأمة، وقد أولى القرآن الكريم هذه القضية عناية كبيرة، فكشف مظاهر الانحراف وأسبابه، ووضع منهجًا متكاملًا لعلاجه والوقاية منه، قائمًا على ترسيخ العقيدة الصحيحة، وضبط الفكر، وتزكية النفس، وبناء المجتمع على أساس الاعتدال والوسطية.

وتبرز أهمية هذا البحث في بيان المنهج القرآني في معالجة الانحراف الفكري، والكشف عن أسبابه النفسية والفكرية والاجتماعية، مع إبراز أثر القرآن الكريم في حماية الإنسان من مسالك الغلو والضلال، كما يسعى البحث إلى بيان أنَّ الانحراف الفكري لا ينشأ من عامل واحد؛ بل هو نتيجة تداخل مؤثرات متعددة تحتاج إلى معالجة شاملة ومتوازنة.

المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري لغةً واصطلاحًا

المطلب الأول: الانحراف لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف الانحراف لغةً:

الانحراف في اللغة مصدر الفعل: انحرف، ويراد به الميل والعدول عن الشيء، يقال: انحرف عن الطريق؛ أي مال عنه وترك جهته المستقيمة (ابن فارس، ١٣٨٩ – ١٣٩٢ هـ، 2/ 42 مادة: حرف) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ (سورة الأنفال، جزء من الآية 16)، أي مائلًا ومنتقلًا من موضع إلى موضع لغرضٍ صحيح.

كما يدل أصل المادة على الميل والتغيير، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾؛ أي يميلون به عن معناه الصحيح ويصرفونه عن وجهه الحق (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، 9/ 43 مادة: حرف) فالانحراف في أصل معناه اللغوي يدل على الميل عن الجادة المستقيمة، والعدول عن الطريق الصحيح.

ثانياً: تعريف الانحراف اصطلاحًا:

الانحراف هو "الخروج عن جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان" (الزحيلي، د:ت، ص 163)، ويُطلق الانحراف في الاصطلاح على الخروج عن القيم والمعايير والضوابط التي يرتضيها الدين أو المجتمع، ويُستعمل في العلوم الاجتماعية للدلالة على السلوك المخالف للمعايير والأنظمة السائدة في المجتمع، ويراد به كذلك: الميل عن الاعتدال والاستقامة إلى الغلو أو التقصير، سواء كان ذلك في الفكر أو السلوك أو الاعتقاد.

المطلب الثاني: تعريف الفكر لغةً واصطلاحًا

أولاً: الفكر لغةً:

الفكر في اللغة هو: إعمال العقل والنظر في الشيء بقصد التأمل والوصول إلى معرفة حقيقته، ويُقال: تفكّر في الأمر؛ أي أعمل عقله فيه وتأمله للوصول إلى نتيجة أو معرفة، وقد وردت مادة: (فكر) في القرآن الكريم بنحو ثمانية عشر موضعًا، وكلها بصية الفعل (عبد الباقي، د:ت، ص 523).

ثانياً: الفكر اصطلاحًا

الفكر في الاصطلاح هو: عملية عقلية يقوم بها الإنسان من خلال النظر والتأمل والتحليل والاستنباط؛ للوصول إلى معرفة أو حكم أو تصور معين، وقيل: هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول، أو الانتقال من المقدمات إلى النتائج عن طريق النظر والاستدلال.

ثالثًا: تعريف الانحراف الفكري بوصفه مركبًا:

بعد بيان معنى الانحراف والفكر لغةً واصطلاحًا، يمكن تعريف الانحراف الفكري بأنَّه: «ميل الفكر عن منهج الحق والاعتدال الذي جاء به الشرع، بسبب خللٍ في التصور أو الاستدلال أو اتباع الهوى، مما يؤدي إلى تبني أفكار أو معتقدات أو سلوكيات مخالفة لمبادئ الإسلام وقيمه».

ويُقصد به كذلك: «الخروج بالعقل والفهم عن الوسطية والاتزان إلى الغلو أو التفريط، بما يترتب عليه فساد في الاعتقاد أو اضطراب في السلوك والمواقف».

ويمتاز الانحراف الفكري بأنَّه لا يقف عند حدود التصور الذهني؛ بل يمتد أثره إلى السلوك والأخلاق والعلاقات الاجتماعية، مما يجعله خطرًا على الفرد والمجتمع والأمن الفكري للأمة

المبحث الثاني: مظاهر الإنحراف الفكري

تتعدد مظاهر الانحراف الفكري وصوره في العقائد والأفكار والسلوكيات والمعاملات، وتمثل التطبيق العملي للأفكار المنحرفة التي تخرج الإنسان عن منهج الاعتدال.

وقد اهتم القرآن الكريم ببيان هذه المظاهر والتحذير منها؛ حفاظًا على العقيدة وصيانةً للعقول من الانحراف، ولا يقتصر أثر الانحراف الفكري على التصورات الذهنية؛ بل يمتد إلى السلوك الفردي واستقرار المجتمع وأمنه، ومن أبرز صوره: الشرك والإلحاد واتباع الهوى، والغلو في الدين، والتكفير بغير علم.

كما يظهر في الانحرافات السلوكية والأخلاقية والمعاملات المخالفة لمنهج الإسلام، وتؤدي هذه المظاهر إلى اضطراب الفكر وانتشار الفوضى والتفكك الاجتماعي؛ لذلك كشف القرآن الكريم حقيقتها، وبيّن أخطارها وأسبابها وآثارها على الفرد والمجتمع، وتبرز أهمية دراستها في التعرف إلى سبل معالجتها والوقاية منها وفق المنهج القرآني.

المطلب الأول: مظاهر الانحراف الفكري في جانب الاعتقاد والتصور

أولًا: إنكار الخالق سبحانه وتعالى:

يُعدُّ إنكار وجود الله تعالى من أخطر مظاهر الانحراف الفكري؛ لأنَّه يهدم أساس العقيدة والقيم والأخلاق، فالإيمان بالله هو المنطلق الذي يوجّه فكر الإنسان وسلوكه ويربطه بالمسؤولية والغاية من الحياة، وعندما ينحرف الإنسان عن هذا الإيمان يختل تصوره للكون والحياة، ويقع في أسر النظرة المادية (حبنكة، د:ت 122)، وقد أبطل القرآن الكريم هذا الانحراف بالحجة العقلية، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (سورة فاطر، جزء من الآية 35)، فالآية تقرر استحالة وجود المخلوقات بلا خالق، وتدعو إلى التأمل في دلائل الخلق، كما بيّن المفسرون أنَّ العقل السليم لا يقبل أن يوجد المخلوق نفسه أو يوجد بلا مُوجِد، وإنكار الخالق لا يقتصر على كونه خللًا فكريًا؛ بل ينعكس على السلوك والأخلاق (ابن كثير، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، 7/ 49)، ومن آثاره ضعف القيم، وطغيان المادية، وانتشار الأنانية، وفقدان الطمأنينة والاستقرار النفسي.

ثانيًا: الشرك بالله تعالى:

الشرك أصل كل انحراف، وهو أظلم الظلم؛ لأنَّه صرف للعبادة التي هي حق الله تعالى إلى غيره (القرطبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، 5/ 181)، قال سبحانه: ﴿**إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة لقمان: جزء من الآية: 13).

فالشرك يُفسد التصور الإيماني ويُشتّت عبودية الإنسان وذلّه وخضوعه لله تعالى؛ لذلك جعله القرآن أعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (سورة النساء: جزء من الآية: 48).

وقد كان انحراف الأمم السابقة يبدأ غالبًا من الغلو في الصالحين حتى يصل إلى عبادتهم، كما حصل لقوم نوح عليه السلام (الطبري، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، 23/ 639)، وكان ذلك تدريجيًا، ولم يكن مفاجئًا؛ فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "عن ابن عبَّاس قال :كان بين آدمَ ونوح عَشَرَةُ قُرون، كلُّهم على شريعة من الحقِّ، فلما اختَلَفوا بَعَثَ الله النبيِّين والمرسَلين وأَنزل كتابه، فكانوا أُمَّةً واحدةً (الطبراني، 8/ 118؛ الحاكم، 4/ 502، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه)، قال: وكذلك هي في قراءةِ عبدِ اللهِ (ابن كثير، 2/ 134) ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (سورة يونس: الاية 18) " فقد أخبر تعالى عنهم أنَّهم قالوا: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (سورة نوح: جزء من الآية:23) مما يدل على أن الانحراف الفكري يبدأ بفكرة ثم يتحول إلى عقيدة راسخة تهدد كيان المجتمع.

ثالثًا: ازدراء الرسل والاستهزاء بهم:

يعد الطعن في الرسل وتكذيبهم من أبرز مظاهر الانحراف الفكري والعقدي، وقد عرض القرآن صورًا متعددة لذلك، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (سورة الذاريات: الآية: 52)، كما اعترض بعض الأقوام على بشرية الرسل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (سورة الفرقان: جزء من الآية: 7)، وهو ناتج عن خلل في فهم حقيقة الرسالة، ويؤدي هذا الانحراف إلى رفض الوحي والابتعاد عن الهداية واتباع الأهواء، لذلك كانت له آثار سلوكية كثيرة منها: انتشار التمرد على القيم الإلهية، ورفض التوجيه الشرعي، واتباع الأهواء والأفكار المنحرفة بعيدًا عن منهج الوحي، لذلك أكّد القرآن الكريم وجوب الإيمان بالرسل وتعظيمهم التعظيم المشروع؛ لأن سلامة الموقف منهم من أسس الاعتقاد الصحيح والاستقامة الفكرية (أبي السعود، د:ت، 6/ 203 - 204).

رابعًا: إنكار الإيمان بالبعث والمعاد:

إنكار البعث والمعاد من أخطر مظاهر الانحراف الفكري في جانب الاعتقاد؛ لأنَّه يُفضي إلى هدم معنى المسؤولية والجزاء، ويجعل حياة الإنسان محصورة في الجانب المادي العاجل دون استحضار للحساب والوقوف بين يدي الله تعالى، وقد عرض القرآن الكريم هذا الانحراف بوصفه خللًا في التصور والعقل معًا، لأنَّ الإيمان بالآخرة ركنٌ عظيم من أركان العقيدة، وبه تستقيم نظرة الإنسان إلى الحياة والعمل والمصير.

وقد أنكر المشركون البعث استبعادًا لإحياء الأجساد بعد الموت، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (سورة النمل: جزء من الآية: 67)، كما قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (سورة يس: جزء من الآية: 78)، فبيَّن القرآن أن القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الإعادة، وأن إنكار البعث ناشئ عن ضعف اليقين وغلبة التصور المادي الذي يقيس قدرة الله تعالى بمقاييس البشر المحدودة (الهراسي،١٤٠٥ هـ، 4/ 355)

وقد ذكر ابن كثير وغيره أنَّ القرآن أقام الأدلة العقلية والحسية على إمكان البعث، من خلال الاستدلال بخلق الإنسان أول مرة، وإحياء الأرض بعد موتها، ليوقظ القلوب الغافلة ويصحح الانحراف في التصور العقدي، كما أن القرآن ربط بين الإيمان بالآخرة واستقامة السلوك؛ لأنَّ الإنسان إذا أيقن بالحساب والجزاء راقب أفعاله وأقواله، وحرص على العدل والإحسان واجتناب الظلم والفساد (ابن كثير، 6/ 359)

ومن آثار الانحراف في الإيمان بالبعث والمعاد انتشار الاستهانة بالمعاصي، وضعف الشعور بالمسؤولية، والانغماس في الشهوات والماديات، إذ يفقد الإنسان رادع الحساب الأخروي، فيتحول اهتمامه إلى تحقيق اللذة والمنفعة العاجلة ولو على حساب القيم والأخلاق، ولذلك جعل القرآن الكريم الإيمان باليوم الآخر من أعظم أسباب صلاح الفرد والمجتمع، لأنه يربط الإنسان برقابة الله تعالى ويغرس في نفسه معنى الجزاء والعدل الإلهي.

خامسًا: الإنحراف في الإيمان بالقدر:

يُعَدُّ الانحراف في فهم الإيمان بالقدر من مظاهر الانحراف الفكري في جانب الاعتقاد؛ لأنَّ القدر من القضايا العقدية التي تحتاج إلى فهمٍ صحيح يجمع بين الإيمان بعلم الله تعالى ومشيئته وقدرته، وبين إثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله واختياره، وعندما يختل هذا التوازن يظهر الانحراف الفكري المتمثل في مذهب الجبرية (ابن حزم،1996، 3/ 32) الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا الإنسان إرادته واختياره، فزعموا أن العبد مُجبَرٌ على أفعاله ولا قدرة له على الاختيار أو التوجيه.

وقد أبطل القرآن الكريم هذا التصور المُجانب للصواب، وبيَّن أن الإنسان مُكلَّف ومسؤول عن عمله، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الإنسان: جزء من الآية: 3)، وقال سبحانه: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (سورة الكهف: جزء من الآية: 29)، فهذه الآيات تثبت للإنسان إرادةً واختيارًا يقعان تحت مشيئة الله تعالى وقدره، دون أن يكون مجبورًا على المعصية أو الطاعة، كما ذمَّ القرآن احتجاج المشركين بالقدر

لتبرير انحرافهم، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ (سورة الأنعام: جزء من الآية: 148)، فبيَّن أن الاحتجاج بالقدر على الباطل سبيل أهل الضلال والانحراف.

وهذه طريقة مُتوارثة في الضلال والانحراف؛ فقد ذمَّ القرآن فعلهم وتصورهم هذا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة النحل: جزء من الآية: 35)

ويؤدي مذهب الجبرية إلى إبطال مقاصد الشريعة ورفع معنى المسؤولية عن الإنسان؛ إذ إنَّ اعتقاد العبد أن أفعاله تصدر عنه دون اختيار أو إرادة يورث التهاون بالتكاليف وضعف الإحساس بالمحاسبة، ومن ثمَّ كان الانحراف في مسألة القدر سببًا في اختلال العقيدة وفساد السلوك العملي.

ومن الآثار السلوكية لهذا الانحراف انتشار التواكل وترك العمل، والتقاعس عن الإصلاح، وتبرير الأخطاء والمعاصي بحجة القدر، مما يؤدي إلى ضعف روح المسؤولية الفردية والاجتماعية، وانتشار السلبية والاستسلام في المجتمع، وأمَّا الفهم الصحيح للقدر فإنَّه يورث الإنسان التوازن النفسي، وقوة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، والشعور بالمسؤولية عن الأقوال والأفعال والأفكار.

المطلب الثاني: تجليات مظاهر الانحراف الفكري في الأحكام والسلوك

أولًا: الكِبر والحسد:

الكِبر والحسد من أخطر الدوافع النفسية المؤدية إلى البغي والعدوان؛ لأنهما لا يقفان عند حدود الاعتقاد الداخلي؛ بل يتحولان إلى سلوك ظالم يعتدي على حقوق الآخرين ويهدم علاقات المجتمع، فالكِبر يقوم على احتقار الناس ورفض الحق، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (الكِبرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمطُ النَّاسِ) (مسلم: كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه، 1/ 65) بينما يقوم الحسد على تمني زوال النعمة عن الغير (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، 1/ 383)، وكلاهما يفسد ميزان العدل في النفس ويقود إلى الانحراف في الحكم والسلوك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الحسد في توليد البغي، قال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 90) أي حسدًا واعتراضًا على اختيار الله وفضله (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، 19)، مما يدل على أنَّ الحسد قد يتحول إلى موقف عدواني ضد الحق والناس.

أما الكبر فقد كان أول أسباب العصيان في تاريخ البشرية، حين أبى إبليس السجود لآدم عليه السلام (الرازي، ١٤٢٠هـ، 2/ 427)، فقال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة، جزء من الآية 34)، فالكِبر هنا لم يكن مجرد شعور داخلي؛ بل تحول إلى رفض للأمر الإلهي، فكان أصلًا لانحراف عقدي وسلوكي خطير.

ومن الناحية السلوكية، فإن اجتماع الكبر والحسد يؤدي إلى انتشار البغي والعدوان في المجتمع؛ إذ يدفع صاحبه إلى الظلم، واحتقار الآخرين، والتعدي على حقوقهم، وإثارة النزاعات بينهم، وفي المجتمع، يترتب عليه تفكك العلاقات، وضعف الثقة، وانتشار الصراعات؛ لأنَّ النفس المتكبرة والحسودة لا تقبل مساواة ولا عدلًا.

ويتضح من ذلك أنَّ القرآن الكريم ربط بين هذه الصفات النفسية وبين الانحراف السلوكي، مما يؤكد أن إصلاح الداخل النفسي هو الأساس في معالجة مظاهر البغي والعدوان، وأن أول طريق الإصلاح هو تطهير القلب من الكِبر والحسد.

ثانيًا: القول على الله بغير علم أخطر مظاهر الانحراف

ومن مظاهر الإنحراف الخطيرة الجرأة على الفتوى والكلام في أحكام الشرع دون علمٍ أو بيّنة؛ لأنَّه يتضمن تحريف الدين ونسبة الأحكام إلى الشرع بغير دليل، ويدخل في ذلك التسرع في تنزيل الأحكام على الناس كالتكفير والتفسيق والتبديع دون علمٍ أو ضوابط شرعية، مما يحوّل الدين من وسيلة هداية وإصلاح إلى أداة صراع وتمزيق للمجتمع.

وقد حذّر القرآن الكريم من هذا المسلك تحذيرًا شديدًا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة الإسراء: جزء من الآية 36)، وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الأعراف: الآية 33)، فجعله من أعظم المحرمات لما يترتب عليه من فساد في العقيدة والفكر والسلوك، وهو يشمل كلَّ أنواع الانحراف سواء في الفتوى أم التفسير؛ بل هو سبب رئيس لظهور الفرق المنحرفة والأفكار المُتطرفة.

وقد ظهر هذا الانحراف مبكرًا عند كثير من الفرق الذين غلوا في فهم النصوص فكفّروا المسلمين بالذنوب، فاستباحوا الدماء وفرقوا جماعة المسلمين (الشهرستاني، 1/ 119)، مما يدل على أنَّ الغلو في الأحكام والقول على الله بلا علمٍ من أخطر صور الانحراف الفكري؛ لما ينتجه من تعصب وعنف وتهديد لوحدة الأمة واستقرارها.

فالقول على الله بلا علم أشدُّ من الشرك؛ لأن الشرك فرع عنه ومتولد منه، الأمر الذي يبرز أهمية الرجوع إلى العلماء الراسخين في العلم، وتحري الدقة في الأحكام والفتاوى صيانةً للدين وحفظًا لعقول الناس من الانحراف.

ثالثاً: الشعور بالتميّز والاختصاص

الشعور بالتميّز والاختصاص من مظاهر الانحراف الفكري التي تُفسد التصور العقدي والأخلاقي؛ لأنه يقوم على اعتقاد جماعةٍ أو فئةٍ أنها أفضل من غيرها مطلقًا، وأنَّ لها من الحقوق والمكانة ما ليس لغيرها، مما يؤدي إلى الاستعلاء واحتقار الآخرين ورفض الحق إذا جاء من غيرهم، وقد صوَّر القرآن الكريم هذا الانحراف عند اليهود في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (سورة آل عمران: جزء من الآية 75)، حيث استباحوا ظلم غيرهم بزعم أنهم شعب مختار، كما قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (سورة المائدة: جزء من الآية 18)، وهو تصور منحرف ولَّد لديهم الغرور والتعصب والانغلاق عن الحق.

ومن صور هذا الانحراف كذلك ما وقع فيه إبليس حين استعلى بأصله واحتقر آدم عليه السلام، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (سورة ص: الآية 76)، فكان الكِبر والشعور بالتفوق سببًا في أول معصية عُصي الله بها، كما ظهر هذا الانحراف عند بعض الأقوام الذين ردُّوا دعوة الرسل بسبب مكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سورة سبأ: الآية 35)، فربطوا الكرامة عند الله بالجاه والقوة والمال، لا بالإيمان والعمل الصالح.

وقد أبطل القرآن الكريم هذه المعايير المنحرفة، وأكد أن التفاضل الحقيقي يكون بالتقوى لا بالنسب أو الجنس أو المال (ابن عاشور، ١٩٨٤م، 26/ 261 ـ 262)، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: جزء من الآية 13) ولهذا فإنَّ الانحراف القائم على التمييز والاستعلاء يؤدي إلى آثار خطيرة على الفرد والمجتمع؛ فمن آثاره على الفرد توليد الكبر والعناد ورفض النصيحة واحتقار الآخرين، مما يحجب صاحبه عن قبول الحق والهداية، أمَّا على مستوى المجتمع فإنه يزرع التعصب والكراهية والانقسام، ويؤدي إلى الظلم الاجتماعي واضطراب العلاقات الإنسانية، ويُضعف معاني العدالة والتكافل والمساواة التي جاء بها الإسلام.

كما أن هذا النوع من الانحراف الفكري يُنتج جماعات مغلقة ترى نفسها وحدها على الحق المطلق، فتتعامل مع الآخرين بروح الإقصاء والاحتقار، وهو ما يهدد وحدة المجتمع واستقراره الفكري والأخلاقي، ولذلك دعا القرآن الكريم إلى التواضع، ونبذ العصبية، وتحقيق الأخوة الإنسانية والإيمانية القائمة على العدل والرحمة واحترام كرامة الإنسان.

المطلب الثالث: الانحراف في العبادات والمعاملات

أولًا: الانحراف في العبادات

لم يقتصر الانحراف الفكري على فساد الاعتقاد فحسب؛ بل امتد أثره إلى جانب العبادة، لأن العبادة ثمرة العقيدة الصحيحة، فإذا اختلَّ التصور الفكري انحرفت العبادة عن مقاصدها الشرعية، وقد ظهرت صور متعددة لهذا الانحراف، من أبرزها الغلو والابتداع والرياء والتفريط، وهي مظاهر تُحوِّل العبادة من وسيلة تزكية وإصلاح إلى ممارسات فاقدة لروح الإخلاص والاتباع، وفيما يأتي عرض لهذه المظاهر:

1- الغلو في العبادة:

ينشأ الغلو من مجاوزة الحد المشروع في العبادة (ابن قتيبة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، 137)، بدافع الجهل أو التشدد أو اعتقاد أن زيادة التكليف تقربًا إلى الله تعالى أكثر، حتى يتحول الدين إلى مشقة وتنطع يخالف مقاصد الشريعة القائمة على اليسر والاعتدال (رضا، ١٩٩٠م، 6/ 67)، وقد نهى القرآن الكريم عن هذا المسلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ (سورة النساء: جزء من الأية 171)، فدلَّت الآية على أن الغلو انحراف فكري يؤدي إلى تحريف الدين والقول على الله بغير علم.

وقد عالج القرآن الكريم هذا الانحراف بالدعوة إلى الوسطية والتوازن، وربط العبادة بالتقوى الحقيقية لا بالمظاهر المتكلفة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة: جزء من الآية 185)، ومن آثار الغلو على الفرد التشدد وقسوة النفس والاغترار بالعمل، أما على المجتمع فيؤدي إلى التنفير من الدين، وظهور التعصب والانقسام والتشاحن بين الناس.

2. التفريط في العبادة

كما أن الغلو انحراف، فإن التفريط والتهاون في العبادة صورة أخرى من صور الانحراف الفكري والسلوكي، إذ ينشأ من ضعف الإيمان، والانشغال بالدنيا، وقلة تعظيم شعائر الله تعالى، وقد صوَّر القرآن هذا الانحراف بقوله سبحانه: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ (سورة مريم: الأية 59)، فربط بين تضييع العبادة والانحراف السلوكي واتباع الشهوات، ورتب عليه الوعيد الشديد وهو وادٍ في جهنَّم عياذاً بالله تعالى، وعالج القرآن الكريم هذا الانحراف بتعظيم شأن العبادة وربطها بإصلاح النفس والمجتمع، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِولذكر الله أكبر﴾ (سورة العنكبوت: جزء من الأية 45)، فكلما ضعفت العبادة ضعفت آثارها التربوية والأخلاقية (ابن عطية، ١٤٢٢ هـ، 4/ 319)

ويؤدي التفريط في العبادة على مستوى الفرد إلى قسوة القلب وضعف الصلة بالله تعالى واضطراب السلوك، أما على مستوى المجتمع فإنه يؤدي إلى انتشار الفساد الأخلاقي وضعف القيم وتراجع روح المسؤولية والانضباط.

3. الابتداع في العبادة

يظهر الابتداع حين يُدخل الإنسان في الدين عبادات أو ممارسات لم يأذن بها الله تعالى، فيتحول الاتباع إلى أهواء ومحدثات تُغيّر معالم الشريعة، ومنشأ هذا الانحراف الجهل بالدين، أو تقديم العادات والتقاليد على الوحي، أو تعظيم الأشخاص والأفكار دون دليل شرعي.

وقد رفض القرآن الكريم هذا المسلك حين قرر أن العبادة حقٌّ خالص لله تعالى لا تُبنى لا على الوحي، فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (سورة الشورى: جزء من الآية 21)، كما عالج هذا الانحراف بالرجوع إلى الوحي والاتباع الصحيح، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ (سورة الأعراف: جزء من الآية 3)

ويترتب على الابتداع آثار خطيرة، منها اضطراب المفاهيم الدينية، وطمس السنن الصحيحة، وانقسام الأمة إلى جماعات متنازعة، فضلًا عن انشغال الناس بالمظاهر المحدثة على حساب جوهر العبادة ومقاصدها.

ثانيًا: الانحراف في المعاملات

كما يظهر الانحراف الفكري في جانب العبادات، فإنه يمتد كذلك إلى المعاملات المالية والاجتماعية؛ لأن المعاملة تعكس حقيقة القيم والمبادئ التي يؤمن بها الإنسان، فإذا فسد التصور الفكري والأخلاقي انعكس ذلك على سلوكه في البيع والشراء والتعامل مع الناس، وقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ الحقوق وتحقيق العدل ومنع الاستغلال، ولذلك شدد القرآن الكريم في التحذير من صور الانحراف في المعاملات لما لها من أثر خطير على استقرار المجتمع وأمنه الاقتصادي والأخلاقي.

1. الربا

الربا من أخطر صور الانحراف في المعاملات؛ لأنَّه ناتج عن انحراف فكري في النظرة إلى المال والحياة، حيث تتحول المادة إلى غايةٍ تُقدَّم على القيم الأخلاقية والإنسانية، ويُقاس النجاح بمنطق الربح المجرد ولو كان قائمًا على استغلال حاجة الناس وضعفهم، فالمرابي تحكمه عقلية تقوم على الجشع وتعظيم المنفعة الشخصية، مع ضعف معاني التكافل والرحمة التي جاء بها الإسلام، ولذلك كان الربا صورة من صور الفساد الفكري الذي يُجرِّد المعاملة المالية من بعدها الأخلاقي والإيماني.

وقد رفض القرآن الكريم هذا التصور المنحرف، ففرَّق بين البيع القائم على العدل والتبادل المشروع، وبين الربا القائم على الاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة: جزء الأية 275)، وكشف القرآن عن الخلل الفكري لدى أهل الربا إذ شبَّهوا الربا بالبيع فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة: جزء الأية 275)، فكان هذا التشبيه دلالة على اضطراب الموازين الفكرية والأخلاقية لديهم (الزمخشري، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، 1/ 320 - 321).

وقد عالج القرآن الكريم هذا الانحراف بإعادة بناء التصور الصحيح للمال، فجعل المال وسيلةً للإعمار والتكافل لا أداةً للاستغلال والاحتكار، قال تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (سورة البقرة: جزء الآية 275) ودعا إلى القرض الحسن والإنفاق والإحسان، والصبر على المُعسر، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: الأية 280) ؛ وربط البركة بالعدل والرحمة لا بالجشع والطمع، ومن آثار هذا الانحراف على الفرد قسوة القلب والطمع وضعف الرحمة، أما على المجتمع فإنه يؤدي إلى اتساع الفوارق الطبقية، وانتشار الظلم الاقتصادي، وتحول العلاقات المالية إلى علاقات استغلال وهيمنة، مما يهدد الأمن الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي.

2. الغش والخداع والتطفيف

الغش والخداع والتطفيف من أخطر صور الانحراف في المعاملات؛ لأنَّها ناتجة عن انحراف فكري وأخلاقي في نظرة الإنسان إلى المال والحقوق والعلاقات مع الآخرين، فالغاشُّ والمطفف تحكمهما عقلية تقوم على تحقيق المكاسب ولو كان ذلك عن طريق التضليل أو إنقاص حقوق الناس، مع ضعف مراقبة الله تعالى وغياب الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، فهذه السلوكيات صورة من صور الفساد الفكري الذي يُفسد المعاملات ويهدم الثقة بين أفراد المجتمع.

وقد عرض القرآن الكريم هذا الانحراف بوصفه خللًا أخلاقيًا وفكريًا ينعكس على سلوك الإنسان في التعامل، فنهى عن بخس الناس حقوقهم، فقال تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ (سورة هود: جزء الأية 85)، كما خصَّ التطفيف بالوعيد الشديد لما فيه من ظلم وخيانة، فقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (سورة البقرة: جزء الأية 275)، فبيَّن القرآن أن هذا السلوك لا يقتصر

على مخالفة مالية فحسب؛ بل يكشف عن اضطراب في القيم والموازين الأخلاقية، قائم على حب الذات وأكل أموال الناس بالباطل.

وعالج القرآن الكريم هذا الانحراف من خلال ترسيخ قيم الصدق والأمانة والعدل، وربط المعاملات بمراقبة الله تعالى في السر والعلن، والدعوة إلى الوفاء بالحقوق وإقامة الميزان بالقسط، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**﴾ (سورة الأنعام: جزء الأية 152)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾ (سورة هود: جزء الأية 84)، فرغّب وحذّر من التطفيف والغش والخداع ورتّب عليه الوعيد الشديد، وفي ذلك ايقاظ وبناء للضمير الإيماني الذي يمنع الإنسان من الخيانة حتى في الأمور التي قد يظنها صغيرة أو خفية (الغزالي، د:ت، 2/ 78).

ومن آثار هذا الانحراف على الفرد سقوط المروءة وضعف الضمير واعتياد الظلم والخيانة وفقدان البركة، أما على المجتمع فإنه يؤدي إلى انهيار الثقة بين الناس، وفساد الأسواق والمعاملات التجارية، وانتشار النزاعات والخداع، وضعف روح العدالة والتكافل، مما يهدد استقرار المجتمع وتماسكه الاقتصادي والأخلاقي.

المبحث الثالث: أسباب الانحراف الفكري

إنَّ الانحراف الفكري لا ينشأ فجأة، ولا يتكوَّن بمعزلٍ عن المؤثرات النفسية والاجتماعية والعقدية؛ بل هو نتيجة تراكمات داخلية وخارجية تتفاعل في نفس الإنسان حتى تُفضي به إلى الميل عن الحق والانحراف عن الصراط المستقيم، وقد عالج القرآن الكريم هذه الظاهرة معالجة دقيقة، فكشف جذورها، وبيّن دوافعها، وحذّر من آثارها؛ لأن سلامة الفكر أساس سلامة العقيدة والسلوك والأمة جميعًا.

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية يتبين أن أسباب الانحراف الفكري يمكن تقسيمها على ثلاثة محاور رئيسة: أسباب نفسية قلبية، وأسباب فكرية عقدية، وأسباب اجتماعية سلوكية.

المطلب الأول: الأسباب النفسية والقلبية للانحراف الفكري

اهتم القرآن الكريم بالكشف عن الجذور النفسية للانحراف الفكري؛ لأنَّ الانحراف لا يبدأ غالبًا بفكرة مجردة؛ بل ينشأ من خللٍ في القلب والنفس يؤثر في طريقة التلقي والفهم والحكم على الأشياء، ومن أبرز هذه الأسباب: الزيغ، واتباع الهوى، والكِبر، والطغيان، والإعراض عن ذكر الله تعالى.

أولاً: الزيغ وميل القلب عن الحق:

يُعدُّ الزيغ من أبرز الأسباب النفسية المؤدية إلى الانحراف الفكري؛ لأنَّه يمثل ميل القلب عن الحق بعد معرفته، والقرآن الكريم يربط بين فساد الفكر وانحراف القلب؛ لأن القلب إذا فسد اضطربت تبعًا لذلك التصورات والمواقف.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة الصف: جزء من الآية 5)، فالآية تبين أن الانحراف يبدأ من الإنسان نفسه حين يعرض عن الحق، فيعاقبه الله بزيادة الضلال، جزاءً له على اختياره الباطل (البغوي، ١٤٢٠ هـ، 8/ 108)، وفي ذلك دلالة على أن الانحراف الفكري غالبًا ما تكون بدايته انحرافًا قلبيًا داخليًا.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (سورة آل عمران: جزء من الآية 8)، مما يدل على خطورة زيغ القلب حتى بعد الهداية، ولذلك كان من دعاءه عليه الصلاة والسلام (اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن وَعثاءِ السَّفرِ وكآبةِ المنقَلَبِ ومِن الحَورِ بعد الكَورِ) (النسائي، كتاب الاستعاذة: باب من الحَوْرِ بعد الكَوْر 1343)، فالكَوْر: لَفُّ العِمامة، والحَوْر: نَقْضُها، والمراد: الاستعاذة من النقصان بعد الزيادة، أو: من الشتات بعد الانتظام، أي: من فساد (السندي، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، 8/ 273)، كما ربط القرآن بين الزيغ واتباع المتشابهات طلبًا للفتنة، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ (سورة آل عمران: جزء من الآية 9) فالإنحراف الفكري لا يبدأ بفكرة منحرفة فحسب؛ بل ينشأ أولًا من خللٍ في القلب يصدّ الإنسان عن قبول الحق والتسليم له.

ثانيًا: اتباع الهوى والشهوات

يُعدُّ اتباع الهوى من أخطر أسباب الانحراف الفكري؛ لأنَّه يصرف الإنسان عن ميزان الحق، ويجعله خاضعًا لرغباته وميوله بدل الاحتكام إلى هدي الوحي، وقد حذَّر القرآن الكريم من ذلك تحذيرًا شديدًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة ص: جزء من الآية 26).

ووجه الدلالة أن الآية جعلت الهوى سببًا مباشرًا للضلال والانحراف عن سبيل الله، مما يدل على أن كثيرًا من صور الانحراف لا تنشأ من الجهل وحده؛ بل من استجابة النفس لما تهواه ولو خالف الحق، فالإنسان إذا جعل هواه حاكمًا على أفكاره ومواقفه اختلَّ ميزان الحكم لديه، وأصبح يميل إلى ما يوافق رغباته لا إلى ما يوافق الدليل والهدى، وقد ذكر الطبري أنَّ المراد لا تتبع ما تميل إليه النفس فيصدّك عن طريق الحق والعدل (الطبري، 23، 649).

ومن صور اتباع الهوى الانغماس في الشهوات وتقديمها على أوامر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (سورة مريم: جزء من الآية 59)، فالاسترسال مع الشهوات يقود إلى الغي والانحراف؛ لأن الشهوة إذا غلبت أضعفت سلطان العقل والإيمان، وأفسدت البصيرة، حتى يصبح الإنسان أكثر قابلية لتبرير الباطل ورفض الحق، ولهذا كان اتّباع الهوى من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى اضطراب الفكر والسلوك معًا.

ثالثًا: الكِبر والعناد وجحد الحق:

الكِبر من أخطر الأسباب النفسية المؤدية إلى الانحراف الفكري؛ لأنَّه يحجب صاحبه عن قبول الحق والانقياد له، لا لخفاء الدليل؛ بل استعلاءً ومكابرة، ولذلك كان سببًا في ضلال أممٍ كثيرة، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (سورة النمل: جزء من الآية 14)، فاليقين بالحق كان حاضرًا؛ لكنَّ الكِبر حال دون اتباعه، مما يدل على أن الانحراف الفكري قد ينشأ من فساد النفس لا من ضعف الحجة (البقاعي، ١٤٠٤ هـ، 14/ 137- 138).

ويُجسِّد فرعون أوضح صور هذا الكِبر؛ إذ عرف صدق دعوة موسى عليه السلام، لكنَّ حب السلطان والاستعلاء دفعاه إلى الجحود، فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (سورة النازعات: الآية 24)، وقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (سورة غافر: جزء من الآية 37)، فتحول كبره إلى انحراف عقدي أضلَّ به قومه.

ومن صوره أيضًا العناد وردُّ الحق لمخالفته الهوى، كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (سورة البقرة: الآية 87)، فكان الاستكبار سببًا في استمرار الضلال والبعد عن الهداية.

المطلب الثاني: الأسباب الفكرية والعقدية للانحراف الفكري

لا يقتصر الانحراف الفكري على الجوانب النفسية والسلوكية؛ بل قد ينشأ أيضًا من خللٍ في التصور العقدي والمنهج الفكري الذي يتعامل به الإنسان مع النصوص والحقائق، ولذلك اهتمَّ القرآن الكريم ببيان الأسباب الفكرية والعقدية التي تُفسد الفهم، وتؤدي إلى الانحراف عن منهج الاعتدال والحق.

أولًا: الانحراف في التعامل مع العقل بين الغلو والتفريط

من أبرز مظاهر الانحراف الفكري اختلال المنهج الصحيح في التعامل مع العقل؛ وذلك إمّا بالغلو فيه حتى يُجعل حاكمًا على الوحي ومقدَّمًا على النص الشرعي، وإمّا بتعطيله وإلغائه من خلال التقليد الأعمى وترك النظر والتفكر الذي دعا إليه القرآن الكريم، فالعقل في التصور الإسلامي نعمة عظيمة ووسيلة لفهم الوحي والاستدلال على الحق؛

لكنَّه ليس مستقلًا عن هداية الشرع، كما أنَّه ليس معطلًا عن النظر والتدبر، وإنما تتحقق سلامته حين يعمل في مجاله الصحيح تحت نور الوحي وهدايته.

وقد ذمَّ القرآن الكريم التقليد الأعمى الذي يُعطِّل العقل ويمنعه من إدراك الحق، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ (سورة البقرة: الآية 170)، فكان اتباع الآباء والأعراف دون نظر أو دليل سببًا للضلال والانحراف، وفي المقابل ذمَّ القرآن كذلك الغلو في استعمال العقل حين يتجاوز حدوده، فيُقحِم الإنسان عقله في الغيبيات أو يُعارض به النصوص الشرعية، فيقدّم الرأي والقياس الفاسد على أمر الله تعالى (ابن كثير، 2/ 35).

وأول من سلك هذا المسلك إبليس، حين قدَّم رأيه العقلي الفاسد على النَّص الإلهي، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (سورة الأعراف: جزء من الآية 12)، فقاسَ الأفضليةَ بعنصر الخِلقة، وغفل عن حكمة الله تعالى وأمره، فكان انحرافه الفكري قائمًا على فساد منهج الاستدلال قبل أن يكون معصيةً سلوكية (الزمخشري، 4/ 107)، وهذا يدل على أنَّ العقل إذا انفصل عن الوحي تحوّل من وسيلة للهداية إلى أداة لتبرير الهوى والباطل.

ومن النماذج القرآنية الدالة على الانحراف في استعمال العقل ما وقع من بني إسرائيل في قصة البقرة، إذ لم يُقابلوا أمر الله تعالى بالتسليم والامتثال؛ بل أكثروا من الجدل والأسئلة والتفصيلات التي لم يُكلَّفوا بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (سورة البقرة: جزء من الآية 67)، فكان الواجب عليهم الامتثال؛ لكنَّهم بالغوا في الجدل حتى شددوا على أنفسهم، وفي ذلك دلالة على أنَّ استعمال العقل بغير هدي الوحي قد يتحول إلى باب للتعنت والانحراف.

وقد عالج القرآن الكريم هذا الخلل بإقامة التوازن في التعامل مع العقل، فدعا إلى التفكر والتدبر والنظر في آيات الله تعالى، مُقررًا أنَّ الغيب مما استأثر الله بعلمه، وأن العقل محدود لا يُحيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (سورة طه: جزء من الآية 110)، ومن هنا فإن المنهج القرآني لا يُلغي العقل ولا يُطلقه بلا ضابط؛ بل يجعله أداةً لفهم الوحي والاهتداء به.

ومن آثار الانحراف في التعامل مع العقل على الفرد وقوعه في الحيرة والاضطراب الفكري، أو الجمود والتقليد الأعمى، كما يؤدي إلى اتباع الشبهات والاعتراض على النصوص الشرعية بعقول قاصرة، أما على مستوى المجتمع فإنه يُنتج تيارات فكرية متطرفة؛ فبعضها يُقدِّس العقل حتى يرفض النصوص، وبعضها يُعطِّل العقل فيقع في

الخرافة والجمود، مما يؤدي إلى اضطراب الفكر، وتمزق وحدة الأمة، والابتعاد عن منهج الوسطية والاعتدال الذي جاء به الإسلام.

ثانيًا: الغلو في الدين

الغلو في الدين من أخطر صور الانحراف الفكري؛ لأنَّه ناتج عن خلل في فهم النصوص الشرعية واضطراب في التصور الديني، حيث يتحول التديّن من التزامٍ بمنهج الاعتدال والوسطية إلى تشددٍ ومجاوزةٍ لحدود الشريعة ومقاصدها، فالغالي تحكمه عقلية تقوم على الإفراط والتعصب، مع ضعف الفقه بمقاصد الدين وقواعده الكلية، فيظن أنَّ التشدد دليل على قوة الإيمان وكمال الالتزام، لذلك فالغلو صورة من صور الفساد الفكري الذي يُخرج الدين عن مقصده القائم على الرحمة والهداية والتوازن.

وقد عرض القرآن الكريم هذا الانحراف من خلال التحذير من مجاوزة الحد في الدين واتباع الأهواء، فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (سورة النساء: جزء من الآية 171)، فنهى عن الإفراط الذي يؤدي إلى تحريف الفهم الصحيح للدين (الطبري، 10/ 487)، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: جزء من الآية 77)، فبيَّن أن الغلو ليس صورة من صور التديّن الصحيح؛ بل هو انحراف عن المنهج الإلهي القائم على الوسطية والاعتدال، وأن اتباع الهوى والتعصب يؤديان إلى الضلال وإضلال الآخرين.

والغلو ينشأ غالبًا من القراءة الجزئية للنصوص، وإهمال مقاصد الشريعة وقواعدها العامة، وضعف الفقه في الموازنة بين النصوص، مما يؤدي إلى تكوين تصورات متشددة تُقصي المخالف وتُحمِّل النصوص ما لا تحتمل، فتتحول الأحكام عند الغالي إلى وسائل للتشدد والتضييق بدل أن تكون سبيلًا للهداية والإصلاح (الشاطبي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، 1/ 392 - 393).

وجاء علاج القرآن لهذا الانحراف من خلال ترسيخ مبدأ الوسطية والتوازن، والدعوة إلى الاعتدال في الفهم والسلوك، وربط التدين بالحكمة والرحمة والعدل، كما دعا إلى الرجوع إلى العلم الصحيح وفهم النصوص في ضوء مقاصد الشريعة، حتى يبقى الدين مصدر هداية ورحمة لا وسيلة للتعصب والصراع والانقسام.

ومن آثار هذا الانحراف على الفرد قسوة القلب والتعصب وضيق الأفق وسوء الظن بالناس، والتسرع في إصدار الأحكام والتكفير والتبديع، أمَّا على المجتمع فإنه يؤدي إلى

انتشار التطرف والانقسام والكراهية، وإثارة الفتن والصراعات، وتشويه صورة الدين، وإضعاف وحدة الأمة واستقرارها الفكري والاجتماعي.

ثالثًا: ادعاء الأنداد وتسوية غير الله بالله

ادِّعاء الأنداد وتسوية غير الله بالله من أخطر أسباب الانحراف الفكري والعقدي؛ إذ يقوم على خللٍ جذري في أصل التوحيد، يتمثل في صرف شيءٍ من خصائص الله تعالى لغيره، سواء في التعظيم أو الطاعة أو التشريع أو الاستمداد، مما يؤدي إلى اضطراب منظومة التفكير العقدي منذ أساسها، فحين يختل مفهوم الإله الواحد في التصور الإنساني، تختل معه معايير الحق والباطل، ويصبح الإنسان قابلًا لتلقي الأفكار والمعتقدات من مصادر متعددة متعارضة مع الوحي.

وقد بيّن القرآن الكريم أنَّ هذا المسلك هو أصل الانحراف المؤدي إلى الضلال، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ (سورة ابراهيم جزء من الآية **30**)، فدلَّت الآية على أن اتخاذ الأنداد ليس مجرد خطأ اعتقادي محدود؛ بل هو سبب مباشر في الإضلال والانحراف عن منهج الله، لأنَّ فساد الأصل العقدي ينعكس حتمًا على فساد التفكير والسلوك (الشوكاني، ١٤١٤ هـ، 3/ 131).

وهذا الانحراف يؤدي إلى بناء منهج معرفي غير منضبط، حيث تُقدَّم أقوال البشر والرموز والسلطة الاجتماعية أو الفكرية على الوحي، فيتحول معيار الحق من الدليل الإلهي إلى الأهواء والتقليد والرموز البشرية، وبذلك يفقد الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل على أساس صحيح؛ لأنَّ مصدر التلقي عنده لم يعد واحدًا منضبطًا.

ويتضح هذا الخلل أيضًا في حال بعض أهل الكتاب حين غلوا في الأحبار والرهبان، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة التوبة جزء من الآية **31**)، حيث تحوّلوا إلى مصادر للتشريع والتحليل والتحريم بدل الوحي الإلهي، مما أدى إلى تحريف المفاهيم الدينية وتبديل الأحكام، وهذا يدل على أن الشرك بالأنداد ليس مجرد انحراف تعبدي؛ بل هو أصلٌ مؤثر في بناء الفكر ومنهج الاستدلال (أبي حيان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠، 5/ 404).

والسبب يؤدي إلى نتائج خطيرة على مستوى الفكر والسلوك، منها الانقياد الأعمى لغير الحق، وتبديل المفاهيم الشرعية، وتبرير الباطل باسم السلطة أو العادة أو الهوى، وهو ما يجعل القرآن الكريم يؤكد على أصل التوحيد بوصفه الأساس الأول لاستقامة الفكر وسلامة المنهج.

المطلب الثالث: الأسباب الاجتماعية والسلوكية للانحراف الفكري

لا يتكوَّن الانحراف الفكري بمعزلٍ عن البيئة المحيطة بالإنسان؛ بل تتداخل في تكوينه عوامل اجتماعية وسلوكية تؤثر في طريقة التفكير والاتجاهات والمواقف، ولذلك كشف القرآن الكريم أثر المال والسلطة والبيئة والرفقة في تشكيل الفكر، وبيَّن كيف يمكن أن تتحول هذه المؤثرات إلى أسباب تقود الإنسان إلى الانحراف عن منهج الحق والاعتدال، وفيما يلي استعراض لهذه الأسباب:

أولًا: المال والسلطة والجاه

النعم لا تكون سببًا للانحراف في ذاتها؛ بل الأمر متعلق بالإنسان فإذا لم يربط المال والسلطة بالإيمان والتقوى تحولت إلى أدوات للطغيان وفساد للفكر.

فالقرآن الكريم يبين أن الشعور بالقوة والنفوذ قد يدفع الإنسان إلى الاستعلاء ورفض الحق، كما وقع لفرعون وملئه، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ**﴾ (سورة يونس جزء من الآية **88**) فما أُعطوه من زينة الدنيا وأسباب القوة كان سببًا في زيادة طغيانهم وإضلالهم للناس، حتى ظنَّوا أن ما يملكونه يمنحهم الحق في التحكم بمصائر الخلق وردّ دعوة الأنبياء.

وهذا يؤكد لنا أنَّ الانحراف الفكري لا ينشأ دائمًا من الجهل؛ بل قد يتولد من الغرور بالقوة والمكانة، حين يتوهم الإنسان أن سلطانه أو جاهه يجعله فوق الحق والمحاسبة.

فالترف المفرط قد يُضعف حسَّ العبودية والافتقار إلى الله، ويولد عقلية الاستعلاء واحتقار الآخرين، فيصبح المال أو الجاه معيارًا للحقيقة والقيمة بدل ميزان الحق والعدل (الغزالي، د:ت، 3/ 231)، ولهذا ارتبط الطغيان في القرآن غالبًا بالقوة والثراء؛ لأنهما قد يدفعان الإنسان إلى رفض الهداية والانشغال بزخارف الدنيا عن الحق (ابن خلدون، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، 221).

ثالثًا: التقليد الأعمى للآباء والأجداد

التقليد الأعمى للآباء والأجداد من الأسباب الفكرية الاجتماعية التي تُعطّل حركة العقل وتمنع الإنسان من الوصول إلى الحقيقة؛ لأنَّ المقلِّد يجعل الموروث معيارًا للحق دون نظر أو تمحيص، وقد عرض القرآن الكريم هذا اللون من الانحراف في مواضع كثيرة، مبينًا أن كثيرًا من الأمم رفضت دعوات الأنبياء لا لضعف الحجة، وإنما لتمسكها بما اعتادت عليه من أفكار ومعتقدات، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ (سورة البقرة جزء من الآية **170**)، وقال سبحانه: ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا**

وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة لقمان جزء من الآية **21)** وتدل الآيتان على أن القرآن لا يرفض احترام التراث أو الاستفادة من تجارب السابقين، وإنما يرفض التقليد الذي يُلغي العقل ويمنع الإنسان من اتباع الدليل، فحين يتحول الموروث إلى سلطة لا تُناقش، يفقد الإنسان قدرته على التمييز بين الحق والباطل، ويصبح أسيرًا للعادات والأفكار السائدة ولو كانت منحرفة (ابن عطية، ١٤٢٢ هـ، 4/ 352) .

ومن آفات التقليد الأعمى أنَّه يقتل روح النقد والمراجعة والتجديد، ويجعل المجتمعات أكثر قابلية لاستمرار الأخطاء والانحرافات عبر الأجيال، ولهذا دعا القرآن إلى إعمال العقل والتفكر وعدم التسليم لكل ما ورثه الإنسان دون برهان.

الخاتمة

تناولت الدراسة الانحراف الفكري في ضوء القرآن الكريم، مبينةً مفهومه ومظاهره وأسبابه وآثارِه على الفرد والمجتمع، وأظهرت أن الانحراف لا يقتصر على العقيدة؛ بل يمتد إلى السلوك والأخلاق والعلاقات الاجتماعية.

كما بيّنت أن من أبرز أسبابه اتباع الهوى، والغلو، والكِبر، والتقليد الأعمى، والقول على الله بغير علم، وخلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم يقدم منهجًا متكاملًا للعلاج قائمًا على التوحيد والتفكر والحوار والحكمة، بما يحقق الأمن الفكري والاستقرار المجتمعي.

النتائج

1. الانحراف الفكري من أخطر أنواع الانحراف؛ لارتباطه بفساد العقيدة والسلوك واضطراب الأمن والاستقرار.
2. اعتنى القرآن الكريم بحماية العقل والفكر، ودعا إلى التدبر والنظر ورفض التقليد الأعمى.
3. فساد العقيدة أصل لكثير من مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي.
4. من أبرز أسباب الانحراف الفكري: اتباع الهوى، والغلو، والكِبر، والقول على الله بغير علم.
5. للبيئة المنحرفة والإشاعات أثر كبير في نشر الانحراف الفكري بين الأفراد والمجتمعات.
6. اعتمد القرآن الكريم في معالجة الانحراف الفكري على الوسطية والحوار والإقناع العقلي والتربية الإيمانية.
7. الأمن الفكري مقصد شرعي مهم يرتبط بحفظ الدين والعقل واستقرار المجتمع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. ابن أبي شيبة، عبد الله (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م) *المصنف في الأحاديث والآثار، ط1*، دار التاج، لبنان.
2. ابن الأثير، المبارك بن محمد (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)) *النهاية في غريب الحديث والأثر* (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي)، د:ط، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
3. ابن الجوزي، عبد الرحمن (د:ت)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: حكمت بن بشير ياسين، ط1، دار ابن الجوزي.
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت. 597هـ)، *تذكرة الأريب في تفسير الغريب* (تحقيق: طارق فتحي السيد)، دار الكتب العلمية.
5. ابن حزم، علي بن أحمد (د:ت) *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، د:ط، مكتبة الخانجي، القاهرة.
6. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٤٠١هـ – ١٩٨١ م) *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، عناية: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
7. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م) *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس.
8. ابن عطية، عبد الحق (١٤٢٢هـ) *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية.
9. ابن فارس، أحمد (١٣٨٩ – ١٣٩٢ هـ) معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
10. ابن قتيبة، عبد الله (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) *غريب القرآن*، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.
11. أبو السعود، محمد (د:ت) *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي.
12. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) *البحر المحيط في التفسير*، اعتنى به: صدقي محمد جميل العطار)، ط1، دار الفكر، بيروت.
13. البغوي، الحسين (١٤٢٠هـ) *معالم التنزيل*، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش)، دار طيبة.

14. البقاعي، إبراهيم (١٣٨٩ – ١٤٠٤ هـ) *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند
15. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (١٤١١ – ١٩٩٠) *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: عادل مرشد وآخرين) . دار الرسالة العالمية.
16. حبنكة الميداني، عبد الرحمن (2009) *العقيدة الإسلامية وأسسها*، ط4، دار القلم، دمشق.
17. الخراسي (الكيا الهراسي)، علي (١٤٠٥ هـ) . *أحكام القرآن*، تحقيق: موسى محمد علي، وعزة عبد عطية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت
18. خليل، جلال الدين المحلي، والسيوطي، جلال الدين (د:ت) *تفسير الجلالين*، ط1، دار الحديث، القاهرة.
19. الرازي، فخر الدين (١٤٢٠ هـ) *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)* دار إحياء التراث العربي، بيروت
20. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤١٢ هـ) *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق .
21. رشيد رضا، محمد (١٩٩٠م) *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
22. الزحيلي، محمد (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م) *الإسلام والشباب*، ط1، دار الفكر – دمشق.
23. الزمخشري، محمود (١٩٨٧م) *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ضبط: مصطفى حسين أحمد)، دار الكتاب العربي.
24. زيدان، عبد الكريم (١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م) *أصول الدعوة*، مؤسسة الرسالة.
25. السجستاني، سليمان بن الأشعث (أبو داود) (د:ت) *سنن أبي داود*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
26. السندي، نور الدين (١٤٠٦ – ١٩٨٦) *حاشية السندي على سنن النسائي*، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
27. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) *الاعتصام*، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط1، دار ابن عفان، السعودية.
28. الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤ هـ) *فتح القدير*، ط1، دار ابن كثير، دمشق.

29. الطبراني، سليمان بن أحمد (د:ت) *المعجم الكبير*، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد – القاهرة ـ مصر.
30. الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر.
31. عبد الباقي، محمد فؤاد (د:ت) *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، دار الحديث.
32. الغزالي، محمد (د:ت) *إحياء علوم الدين*، دار المعرفة – بيروت.
33. القرطبي، محمد بن أحمد (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م) *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش) . دار الكتب المصرية، القاهرة.
34. مسلم بن الحجاج (١٣٣٤ هـ) *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد ذهني أفندي، وإسماعيل الحافظ الطرابلسي، دار الطباعة العامرة – تركيا.
35. النسائي، أحمد بن شعيب (١٤٣٩هـ – ٢٠١٨ م) *سنن النسائي*، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد أنس الخن)، ط1، دار الرسالة العالمية.
36. الواحدي، علي (١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م) *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

References

• The Holy Quran.
1. Ibn Abi Shaybah, Abdullah (1409 AH - 1989 CE), Al-Musannaf fi al-Ahadith wa al-Athar, 1st ed., Dar al-Taj, Lebanon.
2. Ibn al-Athir, al-Mubarak ibn Muhammad (1399 AH - 1979 CE), Al-Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar (edited by Tahir Ahmad al-Zawi and Mahmud Muhammad al-Tanahi), n.d., Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.
3. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman (n.d.), Tafsir al-Qur'an al-Azim, edited by Hikmat ibn Bashir Yasin, 1st ed., Dar Ibn al-Jawzi.
4. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali (d. 597 AH), Tadhkirat al-Arib fi Tafsir al-Gharib (edited by Tariq Fathi al-Sayyid), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
5. Ibn Hazm, Ali ibn Ahmad (n.d.), Al-Fasl fi al-Milal wa al-Ahwa' wa al-Nihal, n.d., Maktabat al-Khanji, Cairo. 6. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad (1401 AH - 1981 CE), Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar, edited by Suhayl Zakkar, Dar al-Fikr, Beirut.
7. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (1984 CE), Al-Tahrir wa al-Tanwir, Tunisian Publishing House, Tunis.
8. Ibn Atiyya, Abd al-Haqq (1422 AH), Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz, edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

9. Ibn Faris, Ahmad (1389-1392 AH), Mu'jam Maqayis al-Lughah, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company.
10. Ibn Qutaybah, Abdullah (1398 AH - 1978 CE), Gharib al-Qur'an, edited by Ahmad Saqr, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
11. Abu al-Saud, Muhammad (n.d.), Irshad al-'Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi. 12. Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad ibn Yusuf (1420 AH - 2000 CE), *Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir*, edited by Sidqi Muhammad Jamil al-Attar, 1st ed., Dar al-Fikr, Beirut.
13. Al-Baghawi, al-Husayn (1420 AH), *Ma'alim al-Tanzil*, edited by Muhammad Abdullah al-Nimr, Uthman Juma'a Damiriyah, and Sulayman Muslim al-Harsh, Dar Tayyiba.
14. Al-Biqa'i, Ibrahim (1389-1404 AH), *Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar*, 1st ed., Da'irat al-Ma'arif al-'Uthmaniyya, Hyderabad, India.
15. Al-Hakim al-Nisaburi, Muhammad ibn Abdullah (1411-1990 CE), *Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn*, edited by Adil Murshid et al., Dar al-Risalah al-'Alamiyya.
16. Habanka al-Maydani, Abd al-Rahman (2009), *Al-'Aqidah al-Islamiyya wa Ususuha*, 4th ed., Dar al-Qalam, Damascus. 17. Al-Kharasi (Al-Kiya Al-Harrasi), Ali (1405 AH). Ahkam Al-Qur'an, edited by Musa Muhammad Ali and Azza Abd Atiya, 2nd ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
18. Khalil, Jalal Al-Din Al-Mahalli, and Al-Suyuti, Jalal Al-Din (n.d.). Tafsir Al-Jalalayn, 1st ed., Dar Al-Hadith, Cairo.
19. Al-Razi, Fakhr Al-Din (1420 AH). Mafatih Al-Ghayb (Al-Tafsir Al-Kabir), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut.
20. Al-Raghib Al-Isfahani, Al-Husayn ibn Muhammad (1412 AH). Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an, edited by Safwan Adnan Al-Dawudi, 1st ed., Dar Al-Qalam, Damascus.
21. Rashid Rida, Muhammad (1990 CE). Tafsir Al-Qur'an Al-Hakim (Tafsir Al-Manar), Egyptian General Book Organization.
22. Al-Zuhayli, Muhammad (1427 AH - 2006 CE). Al-Islam wa Al-Shabab, 1st ed., Dar Al-Fikr, Damascus. 23. Al-Zamakhshari, Mahmud (1987 CE), Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil (edited by Mustafa Hussein Ahmad), Dar al-Kitab al-'Arabi.
24. Zaydan, 'Abd al-Karim (1421 AH - 2001 CE), Usul al-Da'wah (The Foundations of Da'wah), Mu'assasat al-Risalah.
25. Al-Sijistani, Sulayman ibn al-Ash'ath (Abu Dawud) (n.d.), Sunan Abi Dawud (edited by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid), al-Maktabah al-'Asriyyah, Sidon - Beirut.

26. Al-Sindi, Nur al-Din (1406 AH - 1986 CE), Hashiyat al-Sindi 'ala Sunan al-Nasa'i (Al-Sindi's Commentary on Sunan al-Nasa'i), 2nd ed., Maktab al-Matbu'at al-Islamiyyah, Aleppo.
27. Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa (1412 AH - 1992 CE), Al-I'tisam (The Adherence to the Sunnah), edited by Salim ibn 'Eid al-Hilali, 1st ed., Dar Ibn 'Affan, Saudi Arabia.
28. Al-Shawkani, Muhammad ibn 'Ali (1414 AH), Fath al-Qadir (The Opening of the All-Powerful), 1st ed., Dar Ibn Kathir, Damascus. 29. Al-Tabarani, Sulayman ibn Ahmad (n.d.), Al-Mu'jam al-Kabir, edited by Hamdi ibn Abd al-Majid, published by Ibn Taymiyyah Library, Cairo.
30. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (1422 AH - 2001 CE), Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an, 1st ed., Dar Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Cairo, Egypt.
31. Abd al-Baqi, Muhammad Fu'ad (n.d.), Al-Mu'jam al-Mufahras li-Alfaz al-Qur'an al-Karim, Dar al-Hadith.
32. Al-Ghazali, Muhammad (n.d.), Ihya' 'Ulum al-Din, Dar al-Ma'rifah, Beirut.
33. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad (1384 AH - 1964 CE), Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish, Dar al-Kutub al-Misriyyah, Cairo. 34. Muslim ibn al-Hajjaj (d. 1334 AH), Sahih Muslim, edited by Muhammad Dhahni Efendi and Ismail al-Hafiz al-Tarabulsi, Dar al-Tiba'ah al-'Amirah, Turkey.
35. Al-Nasa'i, Ahmad ibn Shu'ayb (1439 AH/2018 CE), Sunan al-Nasa'i, edited by Muhammad Ridwan 'Arqsusi and Muhammad Anas al-Khan, 1st edition, Dar al-Risalah al-'Alamiyyah.
36. Al-Wahidi, 'Ali (1415 AH/1994 CE), Al-Wasit fi Tafsir al-Qur'an al-Majid, edited by 'Adil Ahmad 'Abd al-Mawjud and others, 1st edition, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.